

مجلة جامعة ذي قار المجلد 14 العدد 2 حزيران 2019

Web Site: <https://jutq.utq.edu.iq/index.php/main>

Email: journal@jutq.utq.edu.iq

السياق النصي وأثره في توجيه الحكم النحوي عند ابن هشام الأنصاري

(مغني اللبيب أنموذجاً)

أ.م.د زكي فليح حسن

جامعة ذي قار / كلية التربية للعلوم الانسانية

Email: Dr.zaky.f@utq.edu.iq

ملخص البحث

تقوم فكرة البحث هذا على ابراز العلاقات السياقية المختلفة التي وظفها ابن هشام الانصاري في كتابة مغني اللبيب في توجيه الاحكام النحوية وبالخصوص ابراز قيمة السياق النصي الذي تكتنفه الكثير من القرائن المساعدة على ترجيح الاحكام النحوية . و بالتالي يمكن الوصول الى الحكم النحوي الاقرب الى المسائل . مع مناقشة كل القرائن السياقية الواردة في النص وصولا الى رأي تركن اليه نفس الباحث

الكلمات المفاحية: السياق , المعنى , الترجيح , القرائن , الوظائف.

(Effect of the textual context in directing the judgment of Ibn Hisham .Mughni al-Labib is a model)

Research Summary

The idea of this research is to highlight the different contextual relations employed by Ibn Hisham Al-Ansari in his book, Mughni al-Labib, in directing grammatical sentences, in particular to highlight the value of the textual context, which is surrounded by a lot of clues that help to weight sentences grammatical. Thus, the closest grammatical judgment can be reached. With the discussion of all the contextual cues contained in the text down to the RAI and the same researcher

Keywords : Context, meaning, weighting, clues, functions.

المقدمة :

يعد البحث في النصوص القرآنية امراً ليس بالهين في ظل تعدد وتشعب القاعدة النحوية من جهة ، وعمق مقاصد القران الكريم من جهة اخرى ، الا ان اللغة هي تلك الالة القادرة على ايصالنا بشكل نسبي الى المعنى .

ومن المؤكد ان الة اللغة لا بد لها من الاتصال بالقرائن الخارجية المكملة للأدوات الداخلية وهو ما يشكل تلك الذخيرة العالية التي يمكن للباحث ان يوجه اليها بوصلة النص اللغوي عموماً والقرآني خصوصاً .

ومن بين تلك الادوات التي تدخرها لنا العربية الفصحى اداة اصطلاح عليها الباحثون في الشأن الدلالي بالسياق ، تلك الاداة التي تحمل في طياتها العشرات من القرائن الفرعية المنضوية تحت جناح المفردات والاصوات والتنغيم والنبر والجرس المفرداتي .

ومما هو معروف ان السياق واستعمالاته لم تكن وليدة البحث الحديث والمعاصر بل ان البحث التراثي هو صاحب اليد الطولى في هذا المجال ، الا ان المصطلح قد اخذ بالتطور والتفرع في الانماط والانواع ، فنجد السياق التاريخي والاجتماعي والجغرافي والنفسي الذي ينضوي تحت عباءة السياق الخارجي وهناك السياق المقطعي والسياق القبلي والسياق البعدي والسياق النصي الذي يشملها والسياق المقطعي وكل ذلك ينتظم تحت سقف السياق الداخلي .

ولا يخفى ان درس اللساني الحديث لم يتوقف عند البنية الداخلية للنص بل تعدها الى كل المؤثرات الخارجية ، وبذلك يتوسع الفن الاستعمالي للسياق .

اماعن ابن هشام فكغيره من القدماء لم يكن لديه الاستعمال السياقي على تلك السعة بل نجد منه شذرات متناثرة هنا وهناك بين طيات كتبه التي تغص بالنصوص القرآنية ، وابرز انواع السياق عنده هو السياق النصي او الداخلي (القبلي او البعدي) الذي وقع عليه اختيار هذا البحث . اذ بدأت في كل المسائل بالتنظير للمسألة ثم بعدها ذكرت رأي ابن هشام ، ثم اطرح رأيه للنقاش وصولاً الى نتيجة قد ترضي القارئ الكريم في مرامي النص القرآني الكريم ، وبحسب العنوانات التالية :

اولاً : حذف معادل همزة الاستفهام :

يرى ابن هشام – مشاركاً بذلك النحاة – ان معادل الهمزة يمكن حذفه⁽¹⁾ ، ومن ذلك قول الشاعر⁽²⁾:

دعاني اليها القلب إنّي لأمره

سميغٌ فما ادري ارشد طلابها ؟

اذ يرى هو واكثر النحاة⁽³⁾ ان التقدير في البيت أرشد طلابها ام غيٌّ؟ الا ان ابن هشام ذهب الى ان من الممكن الاستغناء عن هذا التقدير لصحة قولنا : ما ادري هل طلابها رشد؟⁽⁴⁾ وقال النحاة بهذا التقدير في قوله تعالى : (أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ)⁽⁵⁾ فالمحذوف عندهم : كمن ليس كذلك ، او ان التقدير عندهم : لم يوجدوه ، ويكون قوله تعالى : (وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ) معطوفاً على الخبر على التقدير الثاني⁽⁶⁾ والذي يبدو ان ابن هشام قد استدل بالسياق النصي على بعض ما ذهب اليه النحاة في تحديد المحذوف وهو معادل الهمزة وذلك في قوله تعالى : (أَفَمَنْ رُئِيَ لَهُ سُوءٌ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسْبًا)⁽⁷⁾ فالتقدير عند النحاة : كمن هداه الله⁽⁸⁾ واستدل ابن هشام لمذهبهم هذا بما يلي ذلك القول وهو قوله تعالى : (فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ)⁽⁹⁾ ثم قدر ابن

هشام تقديرا اخر في النص الكريم قائلا : ((او التقدير : ذهبت نفسك عليهم حسرة))⁽¹⁰⁾ مستدلا بقوله تعالى : (فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَاتٍ)⁽¹¹⁾ ثم استدل ابن هشام للمعادل المحذوف في نصوص اخرى ، اذ جاء ذلك المقدر مصرحا به مذكورا بالنص مما يقوي القول بحذف ذلك المعادل ، اذ قال ((وجاء مصرحا بهما على الاصل في قوله تعالى : (أَوْ مَنْ كَانَ مِيتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَتَّلَهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا)⁽¹²⁾ وكذلك في قوله تعالى : (أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ كَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ)⁽¹³⁾.....))⁽¹⁴⁾

ولا بد لنا ان ننظر متأملين فيما استدل به ابن هشام الانصاري من سياقات نصية لتقف عند المعاني المتحصلة من تلك الاستدلالات ومدى قوة الاستدلال بالسياق النصي عنده :

بادئ ذي بدء ان ظاهر الآية الكريمة وهي قوله تعالى : (أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا) هو الاستفهام الانكاري ، اذ ان النص الكريم ينكر على فعل من يزين له الشيطان سوء عمله فيراه حسناً ، وهو معنى بارز بين لأدنى تأمل .

والذي يبدو لي ان الاستفهام الانكاري لا يحتاج الى التقدير لذلك المعادل اصلا، هذا من جهة ! ومن جهة اخرى ان النظم القرآني لا يحتاج الى ذلك التقدير ، اذ لو تأملنا في السياق كاملا لوجدنا ان المعنى لا يحتاج اي معادل للهمزة قال تعالى: (وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ) يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّكُمُ بِاللَّهِ الْغُرُورُ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حُزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ & الَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ & أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَاتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ⁽¹⁵⁾ فالسياق يبدأ بطمأنينة النبي (ص) بأنك ايها الرسول وان كذبت فقد كذبت من قبلك الرسل فلا تحزن ولا تبتئس فان مرجع الامور اليه سبحانه وتعالى ثم حذرت الآيات من اغراءات الشيطان وبينت انه هو عدو البشر ومن يغره الشيطان فمصيره ان يكون من اصحاب السعير ، وبعد ذلك انما عندنا فريقان : المؤمنون ذوو الاجر الكبير والكافرون ذوو العذاب الشديد ، ثم جاءت الآية الكريمة لتبين مدى الانكار القرآني لأفعال الذين يتبعون الشيطان ، وذلك بعد ان صدح الصوت الالهي بالتوعية والتحذير اذ لا عذر لهؤلاء بعد ذلك ، فالإنكار عليهم بهذا الاسلوب البديع كانه اراد استنطاقهم والزامهم بالحجة بالإجابة .

اذ من خلال السياق العام لا نجد حاجة الى تقدير محذوف معادل لهزمة الاستفهام اذ ليس الانكار يتضمن الفريقين وانما ينطبق على من زين له الشيطان سوء عمله فقط .

اما خير (من) الموصول فقد دل عليه ما تقدم من الكلام في سياق الآيات ، وهو قوله تعالى : (الَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ)⁽¹⁶⁾ .

اما ما استدل به ابن هشام على المعادل المحذوف وهو قوله تعالى : (فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَاتٍ) فهي جملة مقرررة مستأنفة اي مقرررة لما قبلها فالباري يهدي من اراد الهداية ويضل من اراد الضلال فلا تذهب نفسك عليهم حسرات .

اما الآيات التي استدل بها ابن هشام على التصريح بالمعادل ، فالجواب عنها اننا نقول : كما ان للحذف دلالة فان للذكر دلالته كذلك ، ففي قوله تعالى : (أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَتَّلَهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا) لا يليق الحذف هنا وذلك بلحاظ السياق كذلك ، قال تعالى : (وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِّرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُررْتُمْ إِلَيْهِ وَإِنَّ كَثِيرًا لَيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ & وَذَرُوا ظَاهِرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ & وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ & أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ) (17) .

فالسبب يتحدث عن سلوك الظلمات التي هي المحارم والمآثم والاهواء بغير علم اذ ان كل ذلك فسق في الدين قال تعالى : (وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ) وقال : (وَإِنَّ كَثِيرًا لَيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ) وقال : (وَذَرُوا ظَاهِرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ) وقال : (إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الْإِثْمَ) وقال : (وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ) وقال : (وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ) . فهذه هي الظلمات التي ذكرها الباري في الآية الكريمة وهي جزء من سياق الآيات التي تركز الحديث عنها لنهي الانسان من الاقتراب منها فهي محور الحديث الاساس وقيمتها فلا يليق بها الحذف .

وكذلك قوله تعالى : (أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ كَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ) (18) فقوله تعالى : (وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ) في الآية (12) من سورة محمد هي المثال والقرينة البارزة على تزيين الاعمال السيئة فلا يليق بها الحذف كذلك فانها مرتكز الحديث الاساس وبؤرته العميقة .

ثانياً : الاستفهام التقريري :

يخرج الاستفهام احيانا بكل ادواته عموماً وبالهزمة خصوصاً الى معان كثيرة كالتسوية (19) ومنه قوله تعالى : (سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ) (20) ومنها الانكار الإبطالي (21) كقوله تعالى : (فَاسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ الْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبُيُوتُ) (22) ومنها الانكار التوبيخي (23) كقوله تعالى : (أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْجُتُونَ) (24) والتهمك (25) كقوله تعالى : (أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ تَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا) (26) والامر (27) كقوله تعالى : (أَسَلَّمْتُمْ فَأِنْ أَسَلَّمُوا فَقَدْ أَهْتَدُوا) (28) ومنها التعجب (29) كقوله تعالى : (أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ) (30) والاستبطاء (31) نحو قوله تعالى : (أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا) (32) واخر تلك المعاني : التقرير (33) ويعني حملك المخاطب على الاقرار والاعتراف بأمر قد استقر عنده ثبوته او نفيه ويجب ان يليها الشيء الذي تقرر به ، فاذا اردنا التقرير بالفعل قلنا : اضربت زيداً؟ وبالفعل : أنت ضربت زيداً؟ او بالمفعول : ازيداً ضربت؟ كما يجب ذلك بالمستفهم عنه (34) .

واحتمل ابن هشام الانصاري في قوله تعالى : (قَالُوا أَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِالْهَيْتَانَا يَا إِبْرَاهِيمَ) (35) احتمالين : الاول : ان الاستفهام حقيقي على ان قوم ابراهيم كانوا لم يعلموا انه الفاعل (اي

ابراهيم) ، والثاني : ان الاستفهام تقريرى ، وهذا مبني على ان القوم قد علموا بفعل ابراهيم يقيناً قبل سؤاله ، ونفى ابن هشام الاستفهام او التقرير بالفعل او عن الفعل في النص الكريم ، وعلل ذلك بتعليقين : الاول : تعليل نحوي وهو ان الهمزة لم تدخل على الفعل بل دخلت على الاسم ، والتعليل الثاني : تعليل يتعلق بالسياق النصي وهو ان النبي ابراهيم قد اجابهم بهوية الفاعل (36) في قوله تعالى : (بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا) (37) .

فابن هشام ينفي اذن الاستفهام او التقرير عن الفعل بعدم دخول الهمزة عليه اولاً ، ولان النبي ابراهيم عين الفاعل ، وهذا ما يقدمه لنا السياق النصي الذي لا بد لنا من وقفة متأملة فيه لتتكشف لنا خفاياه واسراره وما يحمله من حجج ، قال تعالى :

(وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُسُودَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ & إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ & قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ & قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ & قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ & قَالَ بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَىٰ ذَلِكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ & وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ & فَجَعَلَهُمْ جُدَادًا إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ & قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ & قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذُكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ & قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَىٰ أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ & قَالُوا أَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ & قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ) (38) .

فالملاحظ على سياق الآيات ان ابراهيم (عليه السلام) قد وجه تحذيراً بيناً لأبيه آزر وقومه ساخراً من الاصنام والتماثيل التي كانوا يعبدونها ، وبهذا اللحاظ يندفع قول ابن هشام بان الاستفهام قد يكون حقيقياً بان يكونوا لا يعلمون من الفاعل ؟ بل هم يعلمون بان النبي ابراهيم هو من يعنفهم ويوبخهم فالقوم على يقين بان ابراهيم (عليه السلام) هو من قام بتحطيم آلهتهم . فالاستفهام اذن تقريرى فان القوم ارادوا منه الاقرار والاعتراف من نفسه بفعله . ومن المؤكد من السياق انهم يبحثون عن الفاعل ليقر لهم بما ارادوا لا عن الفعل نفسه وهم رأوا فعل التفسير لتلك الاصنام بأعينهم .

ثم بعد ذلك نرى ان النبي ابراهيم قد تجادل مع قومه ورماهم بالضلال المبين واتهموه باللعب وعدم الجد ، وحاججهم بان الرب هو رب السماوات والارض لا ما تعبدون من الحجارة ثم هدد بان يكسر اصنامهم بعد غيابهم عنها ، فهم على يقين بان ابراهيم (عليه السلام) هو من فعل ذلك ، اما التقرير منهم فلإرادة الاتيان بحجة عليه امام ملئهم ، ودليل ذلك قوله تعالى : (فَأْتُوا بِهِ عَلَىٰ أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ) ثم قالوا : (أَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ)

اما قوله تعالى على لسان ابراهيم : (بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ) فهو خبر مستعمل في معنى التشكيك ، اي لعله فعله كبيرهم اذ لم يقصد ابراهيم (عليه السلام) نسبة التحطيم الى الصنم الاكبر لأنه لم يدع انه شاهد ذلك ولكنه جاء بكلام يفيد ظنه بذلك حيث لم يبق صحيحاً من الاصنام الا الاكبر وفي ذلك الكلام دليل على انتفاء تعدد الالهة لأنه اوهمهم ان كبيرهم غضب من مشاركة تلك الاصنام له في العبودية ، وفي ذلك تدرج الى دليل الوحدانية ، فإبراهيم (ع) في انكاره ان يكون هو الفاعل اراد الزامهم الحجة على انتفاء الوهية الصنم العظيم

وانتفاء الوهية الاصنام المحطمة بطريق الاولى على نية ان يكرّر على ذلك بالإبطال ويوقعهم بانه الذي حطم الاصنام وانها لو كانت الهة لدفعت عن نفسها ولو كان كبيرهم كبير الالهة لدفع عن حاشيته ولذلك قال ابراهيم (ع): (فَأَسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ) تهكما بهم وتعريفا بان ما لا ينطق ولا يعرب عن نفسه غير اهل للإلهية فهو كلام جار على الفرض والتقدير وكأنه قال: لو كان هذا الها لما رضي بالاعتداء على شركائه⁽³⁹⁾ اذن ليس هو اخبار عن فاعل حقيقي اصلا فلا استدلال فيه.

الثالث : (إن) النافية :

ترد (إن) في نحو العربية على اربعة اوجه الاول : ان تكون شرطية⁽⁴⁰⁾ نحو قوله تعالى : (إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ) ⁽⁴¹⁾ والثاني ان تكون مخففة من الثقيلة فيكون دخولها على الجملة الفعلية والاسمية⁽⁴²⁾ ومن ذلك قراءة الحرميين⁽⁴³⁾ وابي بكر: (وَإِنْ كَلَّمَا لِيُوقِنَهُمْ) وحكاية سبويه (إِنْ عَمراً لمنطلق)⁽⁴⁴⁾ وهذه الاداة يكثر اهمالها⁽⁴⁵⁾، والثالث ان تكون زائدة والاكثر في زيادتها ان تأتي بعد (ما) النافية اذا دخلت على جملة فعلية⁽⁴⁶⁾ والرابع من معانيها ان تكون نافية وتدخل على الجملة الاسمية⁽⁴⁷⁾ ومن ذلك قوله تعالى : (إِنَّ الْكَافِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ) ⁽⁴⁸⁾ وكذلك تدخل على الجملة الفعلية⁽⁴⁹⁾ كقوله تعالى : (إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَى) ⁽⁵⁰⁾.

وخرج بعض النحاة على (إن) النافية قوله تعالى : (إِنْ كُنَّا فَاعِلِينَ) ⁽⁵¹⁾ وكذلك قوله تعالى : (قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وِلْدٌ) ⁽⁵²⁾ والوقف يكون هنا ⁽⁵³⁾ ومنها قوله تعالى : (وَلَقَدْ مَكَّنَّاهُمْ فِيمَا إِنْ مَكَّنَّاكُمْ فِيهِ) ⁽⁵⁴⁾ اي في الذي ما مكناكم فيه ، وقيل زائدة⁽⁵⁵⁾.

هذا وقد ايد ابن هشام ان تكون (إن) في الآية السابقة نافية وذلك بمساعدة السياق النصي في سورة اخرى في القران ، وهي قوله تعالى : (مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ يُمْكِنْ لَكُمْ) ⁽⁵⁶⁾ اذ يرى في قوله تعالى : (وَلَقَدْ مَكَّنَّاهُمْ فِيمَا إِنْ مَكَّنَّاكُمْ فِيهِ) ، وكأنه انما عدل عن (ما) لئلا يتكرر فيثقل اللفظ⁽⁵⁷⁾ . وفيما تقدم من كلام ابن هشام توجيهان لإثبات ان ما ورد في النصوص القرآنية هي (إن) النافية لا غير مستعينا بالسياق النصي ، فالتوجيه الاول في قوله تعالى : (إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وِلْدٌ) يرى ان الوقف يجب ان يكون على كلمة (ولد) ، اما التوجيه الثاني ففي قوله تعالى : (وَلَقَدْ مَكَّنَّاهُمْ فِيمَا إِنْ مَكَّنَّاكُمْ فِيهِ) ⁽⁵⁸⁾

اما توجيه الآية الاولى : (قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وِلْدٌ) فيجب النظر في سياق الآيات ، قال تعالى : (أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَىٰ وَرُسُلْنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ & قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وِلْدٌ فَأَنَّا أَوْلُ الْعَابِدِينَ & سُبْحَانَ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ) ⁽⁵⁹⁾ فالذي يتضح من السياق ان الامر الذي اسروه وتناجوا فيه هو ادعائهم ان الله وُلداً – سبحانه - ولذلك عقب الآية الكريمة بهذا الامر باسلوب توبيخي يتضمن معنى النفي الا وهو اسلوب الشرط بـ (إن) الشرطية حيث معنى الافحام والابطال لما ادعوا واسروا كما ان اسلوب الشرط بـ (إن) في النص يعني : ان يكون لله ولد من الامور المستحيلة ، وهذا المعنى احد معاني (إن)⁽⁶⁰⁾ اذ ان هذه

الاداة : ((تستعمل في المعاني المحتملة الوقوع والمشكوك في حصولها والموهومة والنادرة والمستحيلة....))⁽⁶¹⁾

فمعنى (إن) الشرطية هنا مطابق لما عليه النص القرآني وسياقه دليل ذلك كما قدمنا ، اما جواب الشرط في الآية لا يحتاج منا الى ادنى تأمل وهو قوله تعالى : (فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ) ، فان جعلنا (إن) نافية فيكون التقدير كالتالي : ((ما كان للرحمن ولد ، ثم بعد الوقف نستأنف قوله تعالى : (فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ)) وهنا علينا تقدير شرط يفهم من سياق النص كالتالي : وما كان للرحمن ولد فان كان له فانا اول العابدين)) وهو تقدير ليس له مبرر ؛ لبروز اسلوب الشرط ، وتطابق معناه والسياق القرآني ، والامر الاخر اننا اذا حملنا (إن) على النفي لم يبق معنى لقوله : (سُبْحَانَ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ) لان النفي قد ادى ذلك المعنى التنزيهي الذي جاءت به هذه الآية وان كان لا مانع من ذلك الا ان مثل هذا التقدير يقطع النظم القرآني ويدخل فيه ما ليس منه من غير مسوغ كاف .

اما التوجيه الثاني وهو في قوله تعالى : (وَلَقَدْ مَكَنَّاكُمْ فِيمَا إِنْ مَكَنَّاكُمْ فِيهِ) اي في الذي ما مكناكم ، قال تعالى في سياق هذه الآية : (وَادْكُرْ آخَا عَادٍ إِذْ أُنذِرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَابِ وَقَدْ خَلَّتِ النُّذُرُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِيَّيْ أَحَافَ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ & قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَأْفِكَنَا عَنْ آلِهَتِنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ & قَالَ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ وَأُبَلِّغُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ وَلَكِنِّي أَرَأَيْكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ & فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أُوْدِيَّتِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُمْطِرُنَا بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ & تَدْمَرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا يُرَى إِلَّا مَسَاكِنُهُمْ كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ & وَلَقَدْ مَكَنَّاكُمْ فِيمَا إِنْ مَكَنَّاكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَارًا وَأَفْئِدَةً فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَارُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ))⁽⁶²⁾

فالذي يتضح من السياق القرآني ان البارئ عز وجل يذكر مشركي مكة بما جاء على عاد من العذاب المهين بسبب تكذيبهم نبيهم (هود) عليه السلام اذ لم يبق الا مساكنهم المدمرة للعبدة والموعظة ، ثم ذكر البارئ ان عاداً قد اعطيت من التمكين من كل شيء كالقوة العقلية والقدرات الهائلة في مقاومة كل ما يصيبهم ثم عقبته الآيات الكريمة بقوله تعالى : (وَلَقَدْ مَكَنَّاكُمْ فِيمَا إِنْ مَكَنَّاكُمْ فِيهِ) فالاداة (إن) بين الشرط والنفي وهذا ما يستوجب على الباحث النظر والتروي بين المعنيين وإيهما يطابق وجه الكلام ولا سيما اننا امام نص قرآني فخم .

فالذي يبدو لي ان حمل (إن) على النفي يعطي العذر لمشركي مكة في الطغيان؛ اذ انهم لم يمكنوا كما مكنت عاد فلماذا تطغى وتكفر بل عليها شكران النعم ونعمة الاسلام اما طغيان عاد فلأنهم مكنون من كل شيء .

والانسان يطغى اذا ما نَعِمَ بالنعم واعطي من كل شيء ، فالطغيان اذن بعيد عن مشركي مكة لانهم لم يمكنوا كما مكنت عاد .

اما اذا حملنا (إن) على انها اداة شرط فالتقدير يكون كالتالي : (ولقد مكناهم فيما ان مكناكم فيه طغيتم وهذا هو الوجه ، والواقع ان قرئش قد اعطاها البارئ عز وجل من كل شيء من

الهيمنة السياسية والاجتماعية بين القبائل والهيبة العسكرية والسعة في الاقتصاد ، ودليل ذلك تجارة الصيف والشتاء اذ قال تعالى : (لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ & إِيْلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ)⁽⁶³⁾ ولذلك تراهم طغوا وحاربوا رسالة الاسلام فجددوا بآيات الله كما جددت عاد ، على أن طغيان قريش لا يقارن بعاد .

اذن حمل (إن) على الشرط بحسب ما تقدم اراه مناسباً اذا ما اخذنا بعين الاعتبار السياق التاريخي والاجتماعي كما رأينا ، وجواب الشرط محذوف بدلالة السياق كذلك . وكما قلنا ان في حمل (إن) على النفي يعطي العذر والذريعة لطغيان القرشيين . وهذا ليس من ديدنه سبحانه وتعالى ، اذ لو اعطاهم مقومات الطغيان لما حاسبهم عليه ، بل نراه يعنفهم ويوبخهم .

اما السياق الذي استدل به ابن هشام وهو قوله تعالى : (مَكَّنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّنْ لَكُمْ) على ان مجيء (لم) هنا يناظر الآية موضع البحث ، فهو سياق بعيد عنها ، اذ لو تأملنا في السياقين لوجدنا فرقا شاسعا ، قال تعالى في سياق هذه الآية : (وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ & فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ & أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّنْ لَكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِدْرَاراً وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ)⁽⁶⁴⁾

فهو سياق يختلف تماماً عن سياق الآية مورد البحث ، اذ ان توجيه النص القرآني توجيه عام لا خصوص فيه كما في اية الاحقاف اذ يبدأ سياق الاحقاف بقوله تعالى : (وَادْكُرْ آخَا عَادٍ إِذْ أَنْذَرْنَا) اما في سورة الانعام فنجد السياق يبدأ بقوله تعالى : (وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ) فلم يحدد النص قوماً بعينهم وذلك يشير الى حتمية ان الاقوام السالفة كعاد وثمود اشد تمكيناً من مشركي العرب او مشركي مكة ، وهذه الحتمية والقطع يناسبها النفي ب (لم) المفيدة للجزم والقطع ، اما شرطية (إن) في الاحقاف فتتناسب بالخصوص الوارد فيها .

الامر الاخر ان الباربي عز وجل ذكر في آية الانعام الاعراض في قوله تعالى : (إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ) اما في اية الاحقاف ذكر الافك والمقصود به صرفهم عن الالهة في قوله تعالى : (قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَأْفِكَنَا) والاعراض مما لا شك فيه اشد وطأة على النفس من الافك ولذلك ناسب القران بينهما ، فالاعراض لشدته تناسبه الاداة (لم) النافية الجازمة فهي اداة تفيد النفي القاطع المؤكد ، اما في آية الاحقاف فإن النظر في الامور ثم الانصراف عنها اقل وطأة من الاعراض في النفس الانسانية وبالتالي يمكن التأمل فيمن يقوم به خيراً اي انه ممكن رجوعه الى جادة الصواب وهذا يناسبه الشرط الذي يعلق بعض الكلام على بعضه الاخر ، فالأداة (إن) تكون شرطية اولى من كونها نافية .

والامر الثالث ، نجد في آيات الانعام تهديداً وهو قوله تعالى : (فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ) ومثل ذلك لا نجده في آيات الاحقاف من ابتداء السورة حتى مورد البحث ، والمتأمل في تلك الآية التي ورد فيها التهديد يجد ان بعدها جاءت مباشرة الآية التي استدل بها ابن

هشام وهي المحتوية على النفي بـ (لم) (مَا لَمْ نُمَكِّنْ لَكُمْ) ، والتهديد يستلزم القوة وهو ما يتناسب وقوة الاداة (لم) ذات النفي القاطع ، اما في اية الاحقاف فالشرط مناسب للمحتوى الارشادي في النص الكريم .

فالشرط في الاحقاف مناسب لسياقه والنفي في الانعام مناسب لسياقه ، ولذا ارى انه لا يستدل بما في الانعام على ما في الاحقاف .

الرابع : اللام بين الدعاء والصيرورة :

من معاني حرف الجر (اللام) الصيرورة ، ويسمى بعض النحاة لام العاقبة او لام المال⁽⁶⁵⁾ ومنه قوله تعالى : (فَالْقَطْعُ أَلْ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا)⁽⁶⁶⁾ ومن النصوص التي يحتمل ان تكون فيها اللام للصيرورة قوله تعالى : (رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ)⁽⁶⁷⁾ ويحتمل انها للدعاء فيكون الفعل مجزوماً لا منصوباً⁽⁶⁸⁾ ومثل اللام هذه في الدعاء (لا) النافية كما في قوله تعالى : (وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا)⁽⁶⁹⁾ واستدل ابن هشام باخر النص القرآني المتقدم على صحة معنى الدعاء⁽⁷⁰⁾ وهو قوله تعالى : (رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَيَّ أَمْوَالَهُمْ وَاشْدُدْ عَلَيَّ قُلُوبَهُمْ فَلَا يُؤْمِنُوا)⁽⁷¹⁾

ان نظرة في سياق النص القرآني تثبت ان المعنيين مختلفان وان كانا كلاهما من كلام النبي موسى (ع) ، قال تعالى : (وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَيَّ أَمْوَالَهُمْ وَاشْدُدْ عَلَيَّ قُلُوبَهُمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ)⁽⁷²⁾

اذ نرى من خلال السياق ان النبي موسى (ع) قد بدأ كلامه بالدعاء واتمه بالدعاء ، وعلى الرغم من ذلك لا يدل البدء والختم دلالة قاطعة على ان اللام في (ليضلوا) جاءت لمعنى الدعاء ، وعلى الرغم من الفاصل الكلامي بين قوله (ربنا) وبين قوله (ليضلوا) الا ان الكلام قد اتصل اتصالاً واضحاً بعد اعادة لفظ (الدعاء) مرة اخرى وهو قوله تعالى (ربنا) فاللام متصلة اذن ببداية قول موسى (ع) ، وهذا الاتصال مدعاة الى الوقوف لدى المعنى الذي وردت من اجله (اللام)

وبحسب الاحتمالين الذين اوردهما ابن هشام يتحصل المعنيان التاليان :

الاول : ربنا انك اعطيت فرعون وملأه زينة واموالا في الحياة الدنيا الا ان مصيرهم هو الضلال عن سبيل الله .

الثاني : ربنا انك اعطيت فرعون وملأه زينة واموالا في الحياة الدنيا فاجعلهم اللهم من الضالين عن سبيلك بسبب طغيانهم وفسادهم .

فالمعنى الثاني الذي احتمله ابن هشام وهو ان اللام للدعاء يعني ان النبي موسى (ع) يدعو على قومه بالضلal عن سبيل الله وهو معنى ضعيف من جهتين :

الاولى : ان موسى (ع) لا يدعو على قومه بمثل هذا الدعاء لان ذلك يتنافى مع دعوته الى سبيل الله وهي التوحيد .

الثانية :

ليس من اخلاق الانبياء الدعوة على اقوامهم الا عند اليأس الشديد من هدايتهم ، والامر ليس كذلك مع فرعون وملئه اذ كانت تلك اول مواجهة بين النبي موسى (ع) وبين فرعون ، فليس من المعقول ان يدعو عليهم من اول وهلة ، ولا سيما ان كثيرا من ملئه وحاشيته وكذلك السحرة قد آمنوا لما رأوا الآيات البينة التي ظهرت على يد النبي (ع) .
والذي يظهر لي ان المعنى الاول وهو ان اللام لام الصيرورة والمأل هو الراجح من جهات :

الاولى : ان تعنت ال فرعون وجبروتهم وادعاء فرعون الالهية من دون الله قال تعالى : (أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى) (73) يكون حقيق على الله عز وجل ان يجعل عاقبة ومآلة الى سوء وهو الضلال المبين .

الثانية : ان الدعاء الوارد في النص الكريم جاء لاحقاً لقوله تعالى : (لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ) وهذا يعني ان النبي موسى كان (ع) قد دعا عليهم بعد ما تحقق له في الواقع ان القوم ضالين مضلين ، فالدعاء جاء لما تحققت الاسباب والعوامل المساعدة على طغيانهم وهي الاموال والزينة ، قال : (رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَيَّ أَمْوَالَهُمْ) والقلوب الزائفة بالكفر ، فقال : (وَاشْدُدْ عَلَيَّ قُلُوبَهُمْ) ودليل يأس النبي قوله تعالى : (فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ)

اذن ما بعد قوله تعالى : (لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ) مما جاء من الدعاء ليس دليلاً على ان (اللام) في الآية لام دعاء اذ يخرج السياق احياناً عن المعنى العام في الآية الى معنى اخر كهذه الآية ، وهذا يعني ان دلالة السياق تعد مرجوحة اذا ما تتقدم عليها دلالة اخرى بحجة من الحجج ، فمن غير الجائز صرف الكلام عما هو في سياقه الى غيره الا بحجة يجب التسليم لها والحجة مرتبطة بالعناصر التالية :

الاول : ان تكون دلالة ظاهر القران تدل على خلاف ما يوحي به السياق .

الثاني : ان يكون هناك خبر صحيح يفسر الآية بخلاف ما يفهمه سياقه .

الثالث : ان يكون هناك اجماع من اهل التأويل على تفسير الآية تفسيراً يخرج بها عن سياقها .

وكل ذلك قد اوردناه في ما يخص النص الكريم .

الخامس : الواو بين الاستئناف والثمانية :

لم تكن واو الثمانية مصطلحاً مشتهراً بين النحاة بل ذكره بعضهم كابن خالويه⁽⁷⁴⁾ وذكره من المفسرين النيسابوري والثعلبي⁽⁷⁵⁾ اذ زعم هؤلاء ان العرب اذا عدوا قالوا : ستة ، سبعة ، ثمانية ايداناً بان السبعة عدد تام وان ما بعدها عدد مستأنف⁽⁷⁶⁾

واستدل المثبتون لهذا النوع من (الواو) بأيات كثيرة منها قوله تعالى : (سَبِقُولُونَ ثَلَاثَةً رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةَ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةَ وَتَأْمِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُل رَّبِّي أَعْلَمُ بِعَدَّتِهِمْ مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُنْمِرْ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا)⁽⁷⁷⁾

هذا وقد ذكر ابن هشام آراءً عدة في توجيه النص الكريم منها : ان الواو عطفت جملة على جملة ، والتقدير : هم سبعة ثم قيل : الجميع كلامهم ، وقيل العطف من كلام الله تعالى والمعنى : نعم هم سبعة وثامنهم كلبهم وان الجملة الاخيرة تصديق لهذا المضمون او المقالة⁽⁷⁸⁾ يعني ان الجملة الاخيرة التي تحتوي على الواو هي الجملة الصحيحة في عدة اهل الكهف . وقيل ان الواو للاستئناف والوقف على سبعة وان في الكلام تقديرا ، وكأنه لما قيل سبعة قيل نعم وثامنهم كلبهم واتصل الكلامان⁽⁷⁹⁾ .

اما ابن هشام فقد رجح القول الاخير مستنداً الى السياق النصي اذ يقول : ((ويؤيده - اي القول- بان الواو للاستئناف انه قد جاء في المقالتين الاوليين رجماً بالغيب ، ولم يأت مثله في هذه المقالة فدل على مخالفتها لهما فتكون صدقا))⁽⁸⁰⁾

الا ان المتتبع للسياق النصي في الآية الكريمة يجد ان فيه قرينتين : الاولى : مؤيدة لما ذهب اليه ابن هشام وهي قوله تعالى : (رَجْمًا بِالْغَيْبِ) اما القرينة الثانية فرمما تنقص ما استدل به ابن هشام وهي قوله تعالى : (مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ) فيتضح لنا ان السياق النصي لا يعيننا كثيرا في ترجيح احد الرأيين على الاخر ما يفرض على الباحث التوجه الى سياقات اخرى وقرائن في سبيل الخروج الى معنى معين مرجح ، والظاهر من خلال متابعة السياق الخارجي والداخلي (النصي) ان ما ذهب اليه ابن هشام مرجح وفقاً لما يلي :

القرينة الاولى : ما نقل عن عبد الله بن عباس انه قال : ((حين جاءت الواو انقطعت العدة))⁽⁸¹⁾ اي لم تبق عدة عادٍ يلتفت اليها ، اي ان الآية لما قالت : (سَبْعَةٌ وَتَأْمُنُهُمْ كَلْبُهُمْ) يعني ان ذلك هو القول الصحيح الذي ليس بعده قول اخر ، وهو قول يؤيده ما ورد في السياق النصي الذي استدل به ابن هشام وهو قوله تعالى : (رَجْمًا بِالْغَيْبِ) اي ان ما سبقها من مقالتين غير صحيحتين .

القرينة الثانية : الابحاث التاريخية: اذ اكتشفت دائرة الابحاث التاريخية الاردنية ثمانية قبور بنيت بالصخر وشاء القدر العثور على جمجمة الكلب وهو ما ذكرته الآية الكريمة⁽⁸²⁾ .

القرينة الثالثة : الدليل الرقمي في الآية اذ ان الناظر الى قوله تعالى : (نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ) جاء بعدها مباشرة بلفظ (فتية) فاذا تأملنا في الترتيب المكاني لهذه الكلمة لوجدناها السابع بين كلماتها ، وكذلك اذا ما تأملنا موقعها من بداية قصة اهل الكهف نجدها بالرقم (49) وهذا العدد يساوي (7×7) ، اما اذا تأملنا عدد الحروف نجد ان اخر حرف من حروف كلمة (فتية) هو الحرف رقم (28) من بداية الآية ، وهذا العدد يساوي (4×7) مع الالتفات الى ان الرقم (4) هو عدد احرف كلمة (فتية) نفسها ، بل اذا تأملنا موقع الحرف الاخير من كلمة (الفتية) نجده الحرف رقم (21) من نهاية الآية وهو يساوي (3×7) ، وهكذا اذا نظرت الى كلمة (فتية) نجدها مقيدة بالرقم (سبعة) من كل الاتجاهات بل اذا نظرت الى الآية التي تتحدث عن تعدد الاقوال بشأن عدد الفتية نجدها تحسم الامر من اول كلمة ، فكلمة (سيقولون) مكونة من (7) احرف بعدد الفتية ، كما ان هذه الآية فيها امر للنبي ان يقول (7) كلمات تحديدا في شأن عدة اصحاب الكهف من غير زيادة ولا نقصان وهذه هي الكلمات السبع في قوله تعالى : (رَبِّيَ أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ)⁽⁸³⁾ ، فسبحان الله كيف يوظف القران الاعداد في خدمة المعنى المقصود .

اما قوله تعالى : (مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ) فهذه الآية لا تدل على عدم علم الناس بهم وبعدهم ، وذلك لوجود الاستثناء فيها (الا قليل) والظاهر ان في الآية ملمحاً اختيارياً للإنسان المسلم في التدبير واللجوء الى العقل والاحتكام الى الجهد في الحصول على نتائج الامور لترتبط الاسباب بمسبباتها .

وذهب بعض المعاصرين الى الاحتكام الى السياق النصي الا انهم ذهبوا بعيدا اذ توجهوا ينظرهم الى السياق البعدي لهذه الآية الكريمة وهو قوله تعالى : (وَلَيُبْثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِئَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تَسْعًا) اذ يرى هذا الباحث ان قوله تعالى : (وَازْدَادُوا تَسْعًا) لا علاقة لها بمدة لبثهم بل هو مرتبط بعدد فتية اهل الكهف ، اذ ان الآية لو كانت متعلقة بمدة اللبث لقال : (وازددن تسعاً) الا ان الآية نراها تقول (ازدادوا) بضمير الجمع العائد على الفتية انفسهم .

وهذا الراي على قوة اعتماده القرينة النحوية الا انه لا يصمد امام النقد لوجوه :
الاول طول الفاصل الكلامي بين الآيتين اذ الكلام تم عن عدتهن في الآية (22) ، اما قوله تعالى (ثم ازدادوا تسعاً) جاء في الآية (29) .

الثاني : الكلام في الآية (22) فصل القول عن عدتهن وختم هذا الكلام بشكل لا يقبل الشك في قوله تعالى : (قُلْ رَبِّيَ عَلَّمَ بَعْدَهُم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ) فما الحكمة من اعادة القول في ماهية عددهم في الآية (25) .

الثالث : ان سياق الآية (25) يتحدث عن مدة لبثهم بعيدا وقليلاً ولا علاقة له بعدد الفتية قال تعالى : (وَلَيُبْثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِئَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تَسْعًا) وكذلك ختم الباري تعالى الكلام في اللبث اذ قال (قل الله اعلم بما لبثوا) .

وارى ان الآية انما قالت (وازدادوا) ولم تقل (وازددن) لان الامر متعلق بهؤلاء الفتية وامرهم العجيب ، وان هؤلاء قد غيروا مجرى التاريخ الروماني بعد اكثر من (250) سنة بعد سنة (137م) وهي اواخر حكم أذريانوس اذ نجد ان الثورة التوحيدية لم تهدأ حتى اعتناق الامبراطور (قسطنطينيوس) المسيحية ما ادى الى انتشارها وتحولها الى ان تكون هي الدين الرسمي للبلاد جميعا بفضل موقف اهل الكهف⁽⁸⁴⁾ .

وقيل ان الواو في الآية (وثامنهم كلهم) هي واو الحال ، ووفقا لهذا الرأي يجب ان نقدر المبتدأ باسم اشارة اي : هؤلاء سبعة ، ليكون في الكلام ما يعمل في الحال⁽⁸⁵⁾ الا ان ابن هشام رد هذا القول بان حذف عامل الحال اذا كان معنويا ممتنع⁽⁸⁶⁾ .

اذن فما قال به ابن هشام هو المرجح بحسب السياق النصي فهو الاولى في المعنى والدلالة .

السادس : رفع المستثنى على اداله من الموجب :

وجه النحاة في استقراءهم لكلام العرب ان للاسم المستثنى حالات اعرابية في التركيب النحوي فإن كان الاستثناء متصلاً (المستثنى بعض مما قبله) والكلام منفي ، فعندهم يجوز نصبه على الاستثناء وجاز اتباعه لما قبله في الاعراب ، وهو المختار والمشهور انه بدل من متبعه نحو قولنا : ما قام احد الا زيداً او زيداً فيجوز في زيد ان يكون منصوباً على الاستثناء ، وان يكون منصوباً على البديلية من (احد)⁽⁸⁷⁾

اما اذا كان الاستثناء متصلا والكلام مثبتاً فالمستثنى واجب النصب كقولنا (جاء الناس الا زيدا)⁽⁸⁸⁾ ومن ذلك قوله تعالى : (فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا)⁽⁸⁹⁾ الا ان هذا النص القرآني قد قرئ برفع (قليلاً)⁽⁹⁰⁾ الا ان ابن هشام أورد ذلك بقاعدة من قواعد الثلاث عشرة وذلك في الباب الثامن من كتابه (مغني اللبيب) تحت عنوان (في ذكر امور كلية يتخرج عليها ما لا ينحصر من الصور الجزئية) وهذه القاعدة هي : رفع المستثنى على ابداله من الموجب⁽⁹¹⁾ مستدلا على هذه القاعدة بالقراءة السابقة رفع (قليل) في النص الكريم معتمدا على مسارين في قاعدته :

المسار الاول : المعنى اذ يرى ان المعنى على قراءة الرفع مستقيم ، ويقدر الكلام كالتالي : فلم يكونوا منه الا قليل منهم ، اي لم يكونوا من اشباع النبي ما داموا قد شربوا⁽⁹²⁾ فابن هشام قد اول الآية بهذه القراءة ، فهؤلاء القوم بشربهم من الماء صاروا ليس من اشباع النبي ، وهذا التأويل مأخوذ من سياق النص القرآني (معناه)

المسار الثاني : الاستدلال على المعنى الذي رفته بالسياق النصي المقطعي قال تعالى: (فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا)⁽⁹³⁾ ثم استدل ابن هشام على صحة رفع (قليل) بقوله بعد ذلك : (فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي) ، اذ جعل الكلام الذي يسبق (الا) كلاما منفيا اذ جعل (شربوا منه) مساويا لمعنى (انهم ليسوا مني) بدليل قوله تعالى (فمن شرب منه فليس مني) والذي يبدو لي ان تأويل ابن هشام واستدلاله لهذه القراءة الشاذة بعيد من جهتين:

الاولى: انه اول النص القرآني بمفهومه العكسي يعني انه اوله مرتين اذ قال : ان معنى (شربوا منه) معناه (انهم ليسوا من انصار النبي) ثم جعل النفي المذكور يتطابق وقراءة الرفع في (قليل) وكل ذلك في سبيل ان تنتظم القاعدة النحوية في مثل هذا التركيب ، وهذا النوع من التأويل مرفوض عند اغلب المدارس النحوية ولا سيما البصرية .

الثانية : ان قراءة النصب ارجح من قراءة الرفع في المعنى وعلى النحو التالي:

ان قراءة الرفع تعني ان (القليل) المذكور في الآية الكريمة هم قطعاً بعض من الذين شربوا من ماء ذلك النهر اي ان المستثنى هو بعض من المستثنى حتماً ، اما قراءة النصب فتعني ان المستثنى قد يكون من جنس المستثنى منه وقد لا يكون جزءاً منه ، والحال ان (القليل) بالنصب كما جاءت به القراءة المصحفية يرجح فيه انهم ليسوا من جنس المستثنى منه وذلك لان هؤلاء قد اطاعوا النبي (داوود) عليه السلام فاصبحوا من انصاره والسائرين بهديه فهم بذلك اصبحوا يختلفون في جنس عقيدتهم اختلافاً جذرياً عن الذين شربوا من ماء النهر اذ انهم اصبحوا من سخرية النبي في صلاحهم والتزامهم الاوامر الالهية والنواهي وكأنهم قد نزلوا بمنزلة ذلك الجنس المختلف عن جنس المستثنى منه وهذا يشير بوضوح الى فضل هؤلاء وعمق ايمانهم وانهم قد غايروا القوم مغايرة في سلوكهم فصاروا ليس منهم .

اما قراءة الرفع فتجعل هؤلاء القليل بعضاً من بقية القوم وكأنهم لم يخرجوا عنهم في شيء الا بفعل الشرب من غير ذكر للفضل في جنس العقيدة وحسن فعلهم واطاعتهم لنبيهم .

وبعد هذا العرض للفرق المعنوي بين فرق قراءة الرفع وقراءة النصب ارى ان توجيه الرفع والاستدلال لها بالسياق النصي هو توجيه ضعيف لضعف المعنى كما رأينا .

وقبل الختام لا يفوتني القول بأننا اذا ما تسالمتنا على التأويل الذي جاء به ابن هشام في قراءة الرفع في (قليل) فان ذلك يفقد معيارية القاعدة النحوية فتفقد بذلك قيمتها التعليمية .

الخاتمة :

بعد هذه النظرة المقتضبة في وظيفة السياق النصي لدى ابن هشام الانصاري نخرج بما يلي

- 1- السياق هو القرينة الكبرى للمعنى سواء عند القدماء كابن هشام ام عند المعاصرين اذ لا يستغني الباحث اللغوي عن تلك القرينة .
- 2- تبرز ظاهرة الوظيفة الترجيحية واضحة في كثير من ابحاث ابن هشام ولا سيما في كتابه مغني اللبيب : الذي يعده اللغويون قران النحو .
- 3- يعتمد ابن هشام الانصاري احياناً على السياق النصي لإظهار نتائج نهائية في ابحاثه النحوية وذلك بعد عرض المسألة وما قيل فيها من اراء مما يعكس دقة البحث لدى هذه الشخصية العملاقة في التراث اللغوي والنحوي .
- 4- من خلال البحث يتضح لنا ان النتائج التي يظهرها ابن هشام في نهاية المسألة عن طريق السياق النصي ممكنة النظر فيها وانها تقبل المناقشة ، والسبب في رأبي اهماله الى حد ما انواع السياق الاخرى كالسياق الخارجي والاجتماعي والنفسي وغيرها والقرائن الاخرى المساعدة ، ولربما نعطي له العذر في ذلك بان الهدف الذي كان لدى حفظة النحاة القدماء هو جمع ومناقشة التراث .
- 5- في كثير من الاحيان نجد ان السياق النصي لدى ابن هشام لا يؤدي الوظيفة الترجيحية اذا ما تأملنا في القرائن الاخرى المبرزة للمعاني .
- 6- يعتمد ابن هشام احيانا الى السياق النصي البعيد لاستجلاء بعض النتائج في المسائل ما يجعل المسألة محل نظر .
- 7- على قرب السياق النصي الذي يعتمد عليه ابن هشام كثيراً لا نجده مناسباً لإيجاد ترجيح معين في المسألة محل البحث .
- 8- يلجأ احياناً ابن هشام الى السياق الخارجي لإسناد ما اراده بالسياق النصي ولكن ذلك لا يشكل عنده الا لمحات شح بها قلمه وربما تعود اسباب ذلك الى ظروف عصره .
- 9- لا يمكن الركون كلياً الى السياق النصي في ترجيح الاحكام النحوية بل نحتاج الى قرائن اخرى مساعدة .

المصادر والمراجع :

اولاً : القرآن الكريم .

ثانياً : الكتب :

- اتحاف فضلاء البشر بالقراءات الاربعة عشر : احمد بن محمد الدميطي البنا (1117هـ) ، تح : انس مهمرة ، عالم الكتب ، ط 2 (د.ت) .
- الاعجاز العددي في القرآن الكريم : د. عبد الستار القوزي ، دار السفر العربي ، ط2 ، دمشق ، 1982 .
- الالة والاداة وما يتبعهما من الملابس والمرافق والهنات ، معروف الرصافي ، تح : عبد الحميد الرشودي ، منشورات الجمل ، ط1 ، 1974 .
- البحر المحيط : ابو عبد الله محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان (745) ، مط السعادة - مصر ، ط1 ، 1328هـ .
- البرهان في علوم القرآن : بدر الدين احمد الزركشي (794هـ) ، تح : محمد ابو الفضل ابراهيم ، دار التراث ، ط1 ، 1376هـ .
- تفسير الآيات الكريمة : علي بن محمد ابن الوردني القوقازي (632هـ) ، مراجعة احمد البنا ، دار التراث ، ط2 ، مصر ، 1952 .
- تاريخ الاديان في روما : د. ساجدة محمد العمري ، دار الصفا ، ط1 ، عمان الاردن ، 2003 .
- التحرير والتنوير : محمد الطاهر بن عاشور (1393هـ) ، الدار التونسية للنشر (د.ت) .
- التيسير في القراءات السبع : عثمان بن سعيد الداني (444هـ) ، تح : المستشرق اوتوتوريزل ، دار الكتاب العربي ، بيروت (1984) .
- الجنى الداني في حروف المعاني : ابو محمد بدر الدين حسن بن قاسم المرادي المصري المالكي (749هـ) ، تح : فخر الدين قباوة ، دار الكتب العلمية ، ط1 ، بيروت - لبنان (1992) .
- ديوان الهذليين : شعراء هذيل : تح : احمد الزين ومحمود ابو الوفا ، دار الكتب المصرية (1965) .
- رصف المباني في شرح حروف المعاني : احمد بن عبد النور المالقي (702هـ) ، تح : احمد الخراط ، مط مجمع اللغة العربية ، دمشق (د.ت) .
- شرح شذور الذهب : ابن هشام (761هـ) تح : محمد ابو الفضل عاشور ، دار طباعة التراث العربي ، ط1 ، (د.ت) .
- شرح ابن عقيل على الفية ابن مالك : عبد الله بن عقيل الهمداني المصري ، تح : محمد محيي الدين عبد الحميد ، دار السعادة ، ط2 ، مصر (د.ت) .
- الشهداء في التاريخ الروماني : د. محمد حسن الزبيدي ، دار الاوقاف ، ط2 ، قم ، طهران (1996) .

- شرح المفصل : موفق الدين يعيش بن علي بن يعيش (643هـ) طبعة المنيرية ، ادارة الطباعة المنيرية .
- الكتاب : عمر بن عثمان بن قنبر المعروف بسبويه (180هـ) ، تح : عبد السلام محمد هارون ، مكتبة الخانجي ، ط1 ، القاهرة ، 1988 .
- اللامات : ابو القاسم عبد الرحمن بن اسحاق الزجاجي (340هـ) ، تح : مازن مبارك ، دار الفكر ، ط1 ، (دبت) .
- مغني اللبيب عن كتب الاعاريب : ابن هشام الانصاري (761هـ) ، تح : مازن مبارك ، مؤسسة الصادق ، ط1 ، طهران ناصر خسرو .
- معاني الاستفهام : د. محمد علي المشري ، دار النورين ، ط1 ، عمان الاردن ، 1993 .
- المبهج في القراءات السبع : الحسن بن علي سبط الخياط (1146هـ) ، تح : وفاء عبد الله قزمار ، دار الانوار ، ط1 ، (دبت) .
- منهج السالك الى الفية ابن مالك : علي بن محمد الاشموني (672هـ) ، تح : محمد محيي الدين عبد الحميد ، دار الاضواء ، ط1 ، 1947 .
- معاني النحو : د. فاضل صالح السامرائي ، مؤسسة التاريخ العربي ، دار احياء التراث العربي ، ط1 ، بيروت – لبنان ، 2007 .

هوامش البحث :

- (1) ينظر : مغني اللبيب : 19/1 .
- (2) البيت لخالد بن خويلد ، ينظر : ديوان الهذليين : 71/1 .
- (3) ينظر : مغني اللبيب : 19/1 ، و رصف المباني : 39/1 .
- (4) ينظر : مغني اللبيب : 19/1 .
- (5) الرعد / 33 .
- (6) ينظر : مغني اللبيب : 21/1 .
- (7) فاطر / 8
- (8) ينظر : مغني اللبيب : 19/1 : و شرح المفصل : 220/4 .
- (9) فاطر / 8
- (10) مغني اللبيب : 19/1 .
- (11) فاطر / 8
- (12) الانعام / 22
- (13) محمد / 14
- (14) مغني اللبيب : 19/1 .
- (15) الآيات من (4-8) من سورة فاطر
- (16) فاطر / 6
- (17) الآيات من (119-122) من سورة الانعام .

- (18) محمد/14
(19) ينظر : مغني اللبيب : 24/1 ، والجنى الداني : 37/1 .
(20) المنافقون/6
(21) الجنى الداني : 99 ، و رصف المباني : 37/1 .
(22) الصافات/49-50
(23) ينظر : مغني اللبيب : 24/1 ، والآلة والاداة : 78 .
(24) الصافات/95-96
(25) ينظر : مغني اللبيب : 27/1 ، والجنى الداني : 102 .
(26) هود/87
(27) ينظر : مغني اللبيب : 27/1 ، و رصف المباني : 103/1 .
(28) آل عمران/20
(29) ينظر : مغني اللبيب : 27/1 .
(30) الفرقان/45-46
(31) ينظر : معاني الاستفهام : 125 .
(32) الحديد/16
(33) ينظر : مغني اللبيب : 26/1 .
(34) ينظر : المصدر نفسه : 26/1 .
(35) الانبياء/62-63
(36) ينظر : مغني اللبيب : 26/1 .
(37) الانبياء/62
(38) الآيات من (51-63) من سورة الانبياء .
(39) ينظر : تفسير ابن عاشور : 179/9-180 .
(40) ينظر : الجنى الداني : 228 .
(41) الانفال/19 .
(42) ينظر : الكتاب : 283/1 ، والجنى الداني : 228 .
(43) ينظر : التيسير : 126 ، والبحر المحيط : 266/5 ، والاتحاف : 210 ، المبهيح في القراءات السبع : 121/2 .
(44) ينظر : الكتاب : 283/1 .
(45) الجنى الداني : 228 .
(46) ينظر : رصف المباني : 107/1 .
(47) ينظر : منهج السالك : 65 ، و شرح ابن عقيل : 272/1 .
(48) الملك/20
(49) ينظر : رصف المباني : 123/2
(50) التوبة/107
(51) الانبياء/17
(52) الزخرف/81
(53) ينظر : مغني اللبيب : 34/1

- (54) الاحقاف/26
(55) ينظر : مغني اللبيب : 35/1 .
(56) الانعام/6 .
(57) ينظر : مغني اللبيب : 35/1 .
(58) الانعام/6 .
(59) الآيات من (80-82) من سورة الزخرف
(60) ينظر : معاني النحو : 121/3
(61) ينظر : المصدر نفسه : 122/3
(62) الآيات من (21-26) من سورة الاحقاف
(63) قريش:1-2
(64) الآيات من (4-6) من سورة الانعام .
(65) ينظر : البرهان للزركشي: 4/348 ، واللامات : 125 ، والجنى الداني : 145 .
(66) القصص/8
(67) يونس/88
(68) مغني اللبيب : 283/1 .
(69) نوح/24
(70) ينظر : مغني اللبيب : 283/1 .
(71) يونس/88
(72) يونس/88
(73) القصص /71
(74) ينظر : مغني اللبيب : 474/1
(75) ينظر : المصدر نفسه : 474/1
(76) ينظر : المصدر نفسه : 474/1
(77) الكهف/ 22
(78) ينظر : مغني اللبيب : 475/1 .
(79) ينظر : مغني اللبيب : 447/1 .
(80) ينظر : المصدر نفسه : 859/2 .
(81) ينظر : تفسير الوردى : 210/4 .
(82) ينظر : الشهداء في التاريخ الروماني : 178 .
(83) الاعجاز العددي في القران الكريم : 13
(84) ينظر : تاريخ الاديان في روما : 207 .
(85) ينظر : مغني اللبيب : 475/1 .
(86) ينظر : المصدر نفسه : 476/1 .
(87) ينظر : شرح ابن عقيل : 210/2
(88) ينظر : شذور الذهب: 171
(89) البقرة/249
(90) ينظر : الاتحاف:210/2 ، والمبهبج :212/2

مجلة جامعة ذي قار المجلد 14 العدد 2 حزيران 2019
Web Site: <https://jutq.utq.edu.iq/index.php/main>
Email: journal@jutq.utq.edu.iq

(91) ينظر : مغني اللبيب : 287/1
(92) ينظر : المصدر نفسه : 287/1
(93) البقرة/249